حـرف القـاف

الْقَلْب

قـال ابن هشام في (المغنى)[١] : القاعدة العـاشرة من فنـون كلامهم القَلْب : وأكثر وقوعه في الشّعر كقول حسّان رضي الله عنه :

٢٢١= كـأن سبيئـةً من بيت رَأْسٍ يكونُ مِـزاجَها عسـلٌ ومـاءُ[٢]

نصب (المِزاج)، فجعل المعرفة الاسم والنكرة الخبر . وقول رؤبة :

٢٢٢ = ومَهْمَـهٍ مُغْبـرّةٍ أرجـاؤه كَـأَنّ لَـوْنَ أرضـهِ سمـاؤُهُ[٣]

أي كأنّ لَوْنَ سمائه لِغُبْرَته لون أرضه، فعكس التشّبيه مبالغةً ، وحذف المضاف ، وقول عروة بن الورد :

---

(١) انظر المغنى ٢/٧٧٥ .

(٢) من شـواهـد : سيبـويـه ١/٢٣ ، والمقتضب ٤/٩٢ ، والمحتسب ١/٢٧٩ ، وابن يعيش ٧/٩١ ، ٩٣ ، والخـزانـة ٤/٤٠ ، والمغنى ٢/٥٠٥ ، ٧٧٥ ، والهمع والدرر رقم ٣٩٢ .

(٣) من شـواهـد : ابن الشجـريّ ١/٣٦٦ ، والإنصـاف ١/٣٧٧ والمغنى ٢/٧٧٦ ، والعينيّ ٤/٥٥٧ ، والتصريح ٢/٣٣٩ .

٢٢٣= * فَديْتُ بنفسهِ نَفْسِي ومالي[١] *

وقول القُطامِيّ :

٢٢٤ = * كما طيّنْتَ بالفَدَنِ السّياعا[٢] *

الفَدَن : القَصْر ، والسّياع : الطينَ .ومنه في الكلام : أَدْخَلْت القَلْنَسوة في رأسي ، وعرضت النّاقة على الحَوْض ،وعلى الماء ، قاله الجوهري وجماعة منهم : الكسائيّ والزمخشري ، وجعل منه ﴿ وَيَوْمَ يُعْرض الَّذِين / كَفَرُوا على النّار ﴾[٣] . [٢٧٢]

وفي كتاب (التّوسعة) لابن السّكيت : أنّ عرضْتُ الحَوْضَ على النّاقة مقلوب . ويقال : إذا طلعت الجَوْزاءُ انتصب العودُ في الحِرْباء ، أي انتصب الحرباءُ في العود[٤] .

---

(١) تمامه :

* وما آلوك إلّا ما أطيقُ *

من شواهد : المغنى ٢/٧٧٦ . ومعنى لا ألوك : أي لا أعطيك . وفي القاموس : الألو : العطيّة .

(٢) صدره :

* فلمّا أنْ جَرَى سِمَنٌ عليها *

وهو يشبه الناقة بالقَصْر لِسَمْنِها . وهو من شواهد المغنى ٢/٧٧٧ .

(٣) الأحقاف / ٢٠ ، ٣٤.

(٤) الحِرْباء بالكسر،قال الأمير في حاشيته على المغنى : هي دويبة ضعيفة لا لاعَظْم لها،فيحصل بقوة الحرّ اشتدادها ، تدور كيف دارت الشمس لمحبّتها =

وقال ثعلب في قوله تعالى : ﴿ ثُمّ في سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَـا سبعون ذِراعاً فاسْلُكوه ﴾[١] : إن المعنى : اسلكوا فيه سلسلة . وقيل : إنّ منه : ﴿ وَكَمْ من قَرْيَـةٍ أهلكناهـا فجاءهـا بَأْسُنـا ﴾[٢] ، ﴿ ثُم دنا فتدَلّى ﴾[٣] ، ﴿ اذْهَب بكتابي هذا فَأَلْقِهْ إِلَيْهم ثم تَولَّ عنهم فانْظُر ماذا يَرْجِعون ﴾[٤]

= لها ، والأنثى : حِرباة . قال الأمير : في تاريخ الخطيب عن أبي محمد إسماعيل بن منصور الجواليقيّ البغدادي ، قال : كنت في حلقة والدي والناس يقرءون عليه فوقف عليه شاب ، وقال : يا سيدي ، بيتان من الشعر لم أفهم معناهما :

وصل الحبيب جِنانُ الخلد أسكنهـا وهجـره النّار يصليني بـه النّارا
فالشمس في القوس أمست وهي نازلة إن لم يزرني وبالجوزاء إن زارا

فقال له والدي : يا بني : هذا من علم النجوم لا من علم الأدب ، ثم قام من الحلقـة ، وآلى على نفسه ألاّ يجلس في حلقتـه حتى ينظر في علم النجوم ، ويعرف سير الشمس ،

يعني إذا كانت الشمس في آخر القوس كان نهاية طول الليل ، وآخر الجوزاء نهاية قصره . قال الشيخ شرف الدين بن الفارض :

أعوام إقباله كاليوم من قصره ويوم إعراضـه في الطـول كـالحجـج

انظر حاشية الأمير ٢/ ٢٠٠ .

(١) الحاقّة / ٣٢ .
(٢) الأعراف / ٤ .
(٣) النجم / ٨ .
(٤) النمل / ٢٨ .

وقال الجوهريّ في : ﴿ فكان قَابَ قَوْسَيْن ﴾[١] : إنّ أصله : قَابَيْ قَوْسٍ ، فقلّب التثنية بالإفراد[٢] وهو حَسنٌ ، لأن القاب ما بين مقبض القَوْس وسِيَتِهِ[٣] أي طرفه ، وله طرفان ، فله قابان ، ونظيره قوله :

٢٢٥ = إذا أحسن ابنُ العَمِّ بعد إساءة فَلَسْتُ لشرِّيْ فعلِهِ بِحَمُولِ[٤]

أي لِشَرّ فِعْلَيْه[٥] .

وقيل في : ﴿ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِم ﴾[٦] : إن المعنى فَعَمِيتُم عنها . وفي : حَقِيقٌ على أن لا أقول [٧] : إن المعنى حقيقٌ عليَّ بياء المتكلّم ، كما قرأ نافع[٨] وفي ﴿ لَتَنُوءُ بالعُصْبة ﴾[٩] إنّ المعنى : لتنوء العصبةُ بها .

* * *

(١) النجم / ٩ .

(٢) في النسخ المخطوطة ، وط : « والإفراد » بالواو . وفي المغنى : « بالإفراد » وهو أوضح .

(٣) في القاموس : سية القوس بالكسر مخفّفة : ماعطف من طرفيها وجمعه : سِيات .

(٤) من شواهد : المغنى ٢/٧٧٨ .

(٥) والفعلان : هما : الإساءة والإحسان : وشرهما : الإساءة .

(٦) القصص / ٧٦ . وفي ط ، والمخطوطات : « عليكم » مكان : « عليهم » تحريف أمّا فَعُمّيت عليكم » فإنها في سورة هود /٢٨ ، وليست محل استشهاد .

(٧) الأعراف / ١٠٤ .

(٨) هي قراءة نافع والحسن أيضاً . انظر معجم القراءات قراءة رقم ٢٦٢٥ .

(٩) قبلها : «ما إنّ مفاتحة لتنوء بالعصبة » القصص / ٧٦ .

قد يزاد على الكلام التّامّ فيعودُ ناقصاً

قال ابن جنّي : وذلك قولك : «قام زيد» كلام تامّ، فإن زدت عليه ، فقلت : إن قام زيد صار شَرْطاً واحتاج إلى جواب ، وكذلك قولك : زيد أخوك إن زدت عليه (أعلمت) لم تكتف بالاسمين تقول : أعلمت زيداً بكراً أخاك . وتقول : زيد منطلق ، فإذا زِدْت عليه أنّ المفتوحة احتاج إلى عامل يعمل في أنّ وصلتها ، فتقول : بلغني أن زيداً منطلق .

قال : وجماع هذا : أنّ كُلّ كلام مستقلّ زدْت عليه شيئاً غير معقود بغيره ،ولا مُقْتَضٍ لسواه ، فالكلام باقٍ بحاله نحو : زيد قائم ،وما زيد قائماً .

وإن زدت شيئاً مقتضياً لغيره معقوداً به عاد الكلام ناقِصاً .

وقال الأندلسّيّ في (شرح المفصل) : الجملة قد تكون ناقصة [٢٧٣] بزيادة كما /تكون بِنُقصان، فـ«أنّ» إذا دخلت على الجملة صَيّرتها جزء جملة أخرى ، وجعلتها في حكم المفرد ، فتحتاج في تمامها إلى أمر آخر ، كما أنّ (أنْ) المصدرية إذا دخلت على جملة صَيّرتها في حكم المفرد ، وأخرجتها عن كونها كلاماً .

* * *

قد يكون للشيء إعراب إذا كان وحده فإذا اتّصل به شيء آخر تغير إعرابه

من ذلك : ما أنت ، وما شأنك ، فإنهما مبتدأ وخبر إذا لم تأت بعدها بنحو قولك : وزيداً فإن جئت به (فأنت) مرفوع بفعل محذوف ، والأصل : ما تصنع أو ما تكون ، فلمّا حذف الفعل برز الضمير وانفصل ، وارتفاعه بالفاعليّة ، أو على أنه اسم لكان ، وشأنك بتقدير : مايكون ، و (ما) فيهما في موضع نصب خبراً لكان ، أو مفعولاً (لتصنع) .

ومثل ذلك : كيف أنت وزيداً ، إلا أنك إذا قدرت تصنع كان كيف حالاً ، إذ لا يقع مفعولاً به .

* * *

قرائن الأحوال قد تغنى عن اللفظ

قال ابن يعيش : وذلك أن المراد من اللّفظ الدّلالة على المعنى ، فإذا ظهر المعنى بقرينة حاليّة أو غيرها لم يحتج إلى اللّفظ المطابق ، فإن أتى باللفظ المطابق جاز وكان كالتأكيد ، وإن لم يؤت به فللاستغناء عنه .

وفروع القاعدة كثيرةٌ ، منها : حذف المبتدأ والخبر ، والفعل ، والفاعل ، والمفعول .
وكل عامل جاز حذفه ، وكل أداة جاز حذفها .